ومع قدوم العام ١٩٧٣ كانت التكتيكات الاميركية قد حققت عددا من اغراضها فلقد أصبحت اسرائيل قوية الى الحد الذي سمح لها بالعربدة والضرب في العمق العربي ، وبدا المعسكر العربي مفتتا ، وظهرت في مصر تيارات تستهدف تصفية الناصرية بمعناها الاقتصادي ـ الاجتماعي الداخلي وبمعناها الاستراتيجي وتحالفاتها مع المعسكر الشرقي ، وحوصرت الثورة الفلسطينية في لبنان بعد خروجها نهائيا من الاردن على أثر احداث جرش وعجلون (تموز ١٩٧١) وعبئت ضدها قوى النظام القديم الرسمية وغير الرسمية ، وانهت مصر ـ بدفع اميركي غير مباشر ودفع سعودي مباشر ـ مهمة الخبراء السوفيات (٢١ الفا) في تموز ١٩٧٢ بعد أن استطاعت تصفية مجموعة علي صبري في ايار ١٩٧١ ، واخذت معاداة السوفيات شكلا رسميا في مصر ، واستطاعت المشاريع السلمية تنفيس التوتر الحربي واعطت العرب أملا بامكانية التوصل الى حل لمسألة الاراضي المحتلة دون الاحتكام الى السلاح . وكانت كل الدلائل تشير الى ان الاستقرار مؤمن بفضل حالة « اللاحرب واللاسلم » التي قدر الكثيرون ان الدول العربية المتنازعة عاجزة عن تحطيمها .

ورغم رضا الولايات المتحدة النسبي عن التهدئة المحققة ، فقد كان في الادارة الاميركية عناصر (ومن بينها كيسنجر) ترى ان التهدئة الاسرائيلية بالعنف لم تقتلع كل أسباب النزاع ، وان هذه التهدئة لا تستند الى قواعد صلبة . وأن التكتيك الامثل للتهدئة هو خلق « منطقة متجانسة » تسود بين دولها علاقات غير عدائية ، بغض النظر عن انظمة هذه الدول وتراثها الفكري وايديولوجياتها . ولكن وجود هذه المنطقة المتجانسة كان يتطلب اتفاقية سلام يقف في وجهها رفض العرب للسلام من موقع الهزيمة خاصة اذا كان هذا السلام سيجبرها على التخلي عن جزء من الاراضي المحتلة في حرب حزيران ١٩٦٧ ، وتعنت اسرائيل واتساع شهيتها لضم المناطق المحتلة وقدرتها على الافادة من اللوبي الصهيوني المتصلب امام اي ضغط أميركي . لذا تجمد المسعى الاميركي لخلق « المنطقة المتجانسة » ، وبقي الشرق الاوسط في حالة استقرار ظاهري قلق يخفي تحته عوامل الانفجار .

وفي السادس من تشرين الاول ١٩٧٣ انقلب التوازن القلق ، وزال الاستقرار الذي بدا ثابتا منذ نهاية حرب الاستنزاف ، وتحول العداء الكامن الى صدام مسلح واسع النطاق . وسواء كانت الولايات المتحدة قد شاركت في التخطيط لحرب مرسومة الابعاد والاهداف (كما يقول الرئيس حافظ الاسد) ، ام أنها فوجئت بها كما فوجيء الاسرائيليون (كما يقول الرئيس محمد انور السادات) ، فقد ظهر امام واشنطن وضع ساخن جديد . وتصرفت الولايات المتحدة كدولة عظمى ذات مصالح حيوية ، فلم تقف من النزاع موقفا سلبيا ، بل عملت ما في وسعها لاستغلاله وتجييره لمصلحتها مطبقة بذلك مبدأ « العمل وفق معطيات الواقع الموضوعي وما يمكن انجازه في ضوء هذا الواقع ، وفي ظل الظروف المهيمنة » .

ولقد رأى الدكتور هنري كيسنجر ، مهندس « المناطق المتجانسة » ان